Archive of SID

مجلة الجمعية العلمية الايرانية للغة العربية و آدابها، فصلية محكمة، العدد ١٤، ربيع١٢٨٩هـ.ش/٢٠١٠م، صص ٣٧ - ٥٣

هاجس الاغتراب والترحال عند عبدالوهاب البياتي

الدكتورة ناهده فوزى[1]

الملخص

انّ البيّا تي الشاعر الجوّاب الذي قضى عمره في الترحال و الطواف في مدن العالم، عبّر عن الاحساس بالغربة بصورعديدة و وفق مراحل مختلفة، تعكس اشكالاً متنوعة لهذه الرؤية. فهذه المقالة تكشف عن أبعاد هذه الظاهرة و مراحلها من خلال أشعاره و تصل الى نتائج تدلّنا على معرفة جذور شخصيّة البياتي الذي عاش فى شعره فانعكست مراحل حياته عبر دواوينه الشعرية.

المفردات الرئيسة: البياتي ؛ الاغتراب؛ الوطن، الترحال

المقدمه

ما اريدأن ابيّنه في مقالتي هذه هو الاحساس بالغربة و جذورها وأبعادها عند الشاعرالعراقي المعاصرعبدالوهاب البياتي و هل الغربة عنده تدلّ على حالة منبعثة و متأثرة من العوامل الخارجية فى المنافي الواقعية و الابتعاد عن أرض الوطن أو الإحساس بالغربة عنده حالة نفسيّة و رؤية شعرية تجاه الحياة و الكون تنبعث من المنافي الذاتية و الغربة النظرية الايطوبيّة، التى تستخدم كطاقة نفسيّة للإبداع و الابتكار و تدلّ على رؤية تنظيريّة؛حيث يرى الشاعرنفسه غريباً متوحّداً في هذه الدنيا وكأنّه يرحل بعقله و في ذاته "من منفى إلى منفى" و يبحث عن مجهولات العالم و كأن الاحساس بالاغتراب عنده نوع من الانفصال عن المجتمع و حتّى عن النفس.

---

1 . الاستاذة المساعدة بجامعة الاسلامية الحرة – الطهران المركزى

تاريخ الوصول: ١٣٨٧/١٠/٣ تاريخ القبول: ١٣٨٨/١١/٣٠

www.SID.ir

Archive of SID

ما حثّني على اختيار دراسة هذه الظاهرة عند البياتي، شاعرالتجواب في مدن العالم التـــى عبّرعنـــها بالمنافي الواقعية، هو كشف مدى أثر الاغتراب خارج الوطن في هذا الإحساس و تمييزه عن الإحساس بالغربة الذاتية.سواء كان الاغتراب في أرض الوطن أو في الترحال أو اندماج كلـــتي الحـــالتين في آنٍ واحدٍ.

لأجل تبيين جذور رؤية عبدالوهاب البياتي للإ حساس بالغربة. لابدّ أنْ اتطرّق الى نبذة من حياتـــه التي قضى معظمها في الترحال.

مظاهر الاحساس بالغربة

ولد البياتي سنة ١٩٢٦ في بغداد و في ١٩٥٠ تخرّج في الأدب العربي و نال شهادة الليسانس، و نشر اوّل دواوينه الشعرية باسم "ملائكة و شياطين" نفس السّنة في بيروت. عمل في حقل التدريس فترة و قد فصل عن العمل بسبب ميوله الوطنيّة المعادية لنظام الحكم الرّجعي الإقطاعي، ممّا حمله على التنقّـــل من بلدٍ عربّي الى آخرو جعل معظم حياته في الترحال. بعد ثورة ١٩٥٨[١]عاد إلى العـــراق فعـــيّن في وزارة التربية مديراً للتأليف و النشروالترجمة ثم ملحقاً في السفارة العراقية في موسكو الى أن استقال مؤثراً التدريس في جامعة موسكو.و في عام ١٩٦٤ سافر إلى مصر، حيث أســـقطت عنـــه الجنـــسيّة العراقية ثم اعيدت اليه سنة ١٩٦٨، فعاد الى العراق عام ١٩٧١ و عيّن في وزارة الثقافة و الإعـــلام و انتقل الى اسبانيا بعد تعيينه ملحقاً ثقافياً بمدريد منذ بداية عام ١٩٨٠ الى عـــام ١٩٨٩، و في ١٩٩٠ عاد الى بغداد. و في أول ١٩٩١ أتاه نبأ وفاة ابنته الكبرى" نادية " في امريكا، الذي صـــادف غـــزو الكويت و تلك الظروف الحرجة في العراق. فبعد انتظار مؤلم للموافقة على سفره من العراق سافر الى امريكا ليقوم بواجبه تجاه ابنته المتوفّاة ويحتضن أطفالها.

بعد ذلك قرّر البقاء في عمّان، ثم سافر الى لبنان و مكث مدّة هناك فرحل من لبنان الى سورية. توفّي البياتي في دمشق من عمريناهز ٧٣ عاماً إثراصابته بأزمة قلبية، و دفن في دمشق، كماكان يودّ، في حيّ من احياء الفقراء الذين عاش بينهم و غنّى لهم شعره، الى جوار الجواهري[٢] و محيي الدين بـــن عربي[٣]. (كامبل اليسوعي، ١٩٩٦، ج ١، ص ٣٨٨- ٣٨٩؛ عبد القادر، ١٩٩٩، مجلة المصور، عدد ٣٩٠٥، ص٣٦).

وهكذا تمتّع البياتي بثقافة واعية بالعالم و معلومات متوسّعة فخدمته هواية الترحال و جلبت لـــه الشهرة العالمية (الصائغ، ١٩٧٨، ص٥٠، ٨٤- ٨٥؛ فوزى، ١٣٨٣، ص٤، ٣٤- ٣٥). إنّ البيـــاتي في الواقع لم يكن منفيّاً من جانب السلطة و لا معاقباً من قبل الحكومة، بل رحل من العـــراق بجـــواز سفر قانوني و اختار الهجرة و التجواب في مدن العالم، التي كان يحلم بها دائماً، لتفتح له المجال لتطـــوّر

www.SID.ir

Archive of SID

إبداعه الشعري (انظر: البياتي، ١٩٩٦، ص ٩١-٩٤؛ فوزى، ١٣٨٣، ص٣٤) فأسطورة الشاعرالمنفي التي خلقها البياتي لنفسه كرؤية شعرية، تنبعث من أحاسيس الشاعرالنفسيّة في الغربة (فوزى، ١٣٨٣، ص ٣٤- ٣٥). فأريد ان أكشف عن مصيرشعرالغربة عند شاعرعاش ما يقرب من نصف عمره خارج بلاده.

مثلاً نراه ينشد واقع الإحساس بالغربة في ظروف الاغتراب خارج وطنه و يتكلم عن الوطن الذي يريد تغيير

ظروفه و يعبّر عنه بالسراب:

يا صوت الغراب
أين أمضي، وطني ناءٍ، و كفاك على رأْسي تراب
أين أمضي، فارسي مات على أبواب بغداد سراب
يا غراب البين لا تنعب
فأيّامي رحيلٌ واغتراب (البياتي، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٤٢).

وايضاً في شعر آخرعندما يتطرّق إلى القضايا السياسية و الاجتماعية يعبّرعن المشرّد و العودة من الغربة بتعبيرها الواقعي الخارجي عندما ينشد :

الشاعرالغارق في الأحزان والأغلال
يعود من غربته ممزّقاً جريح
ماذا تقول الريح؟
للشاعر الشريد
في وطن العبيد
والساسة اللصوص و التجار الأ نذال
يمرغون القمر
الأخضر في الأوحال
و يسفحون المال
تحت نعال جارية (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٨٤).

و كثيراً ما يربط الشاعر الإحساس بالغربة في المنافي الواقعيّة، مع ظاهرة الثلج بما أنّه عاش سنوات بعيداً عن أرض وطنه في موسكو بلد الثلج فكأنّه وجد علاقة بين الغربة و الثلج :

لريشتي الشريدة
لغربتي، للثلج في المنفى. لهذي النجمة الوحيدة (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٩٠).

www.SID.ir

Archive of SID

ولكن لم يكن الشاعرمنفيّاً بل كان مستشاراً ثقافياً في سفارة الجمهورية العراقية في موسكو.(انظر، ١٩٩١، ص ١٨٠). مع أنّ البياتي اختار الترحال طوال حياته، لكنه عانى من الاحساس بالغربة و مع انّه لم يكن منفيّاً وجد العالم منفى. (فوزى، ١٣٨٣، ص ٢١٦).

ومن جانب آخرنراه يعبّرعن حلاوة طفولته بصيف الطفولة و يحن اليها فيكشف عن تشوّقه إلى عالم الطفولة العذبة في أرض الوطن:

و حدائق الليمون في أعلى الفرات
أمضيت صيف طفولتي
فيها، و أدركني الشتاء
و حملت في منفاي بعد رحيلها
ذهب القصائد و الرّماد (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٥).

و كم قارن الشاعر بين الغربة و الثلج و الموت و المنفى و الأسوار و السجن والواحدة و جمع مثل هذه الكلمات متتالية، تلهمنا مدى الإحساس بالغربة عند الشاعر، نستشهد بأبيات منها:

وجهي الآخر تحت قناع الموت
و ضياعي في ملكوت المنفى:
من منّا الأعمى
في سجن الحريّة؟
يبكي تحت الأسوار الحجرية
و يموت وحيداً في الغربة
محكوماً بشروط اللعبة (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٧٦) .

و أيضاً يستخدم الرموز لبيان أنّ قلمه و ما ينشده هو سلاحه في وحدة منفاه تحت عنوان " الحلزون " فيعبّرعن هذا السلاح بـــ " النبوءة "

رجلٌ تسلّح بالنبوءة و اللهيب
أسرى بنار الرافضين
و مات في المنفى وحيد
كلماته اخترقت جدار الصمت
ذوّبت الجليد (البياتي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٥٦) .

و أيضاً يشير إلي الإحساس بالغربة الخارجية بنفس الكلمات معبراً عن طقوس سياســية غامــضة تكشف عن حالة الشاعر النفسيّة و تدلّ على التمرّد و التحدّي عنده. الطقوس التي جعلــت الــشاعر

www.SID.ir

Archive of SID

يكون كاليت في حياته، و لا يجد في صدره إلاّ المقبرة و الثلج معبّراً عن مـــدى ســـيطرة الجمـــود و الركود في الأجواء السياسيّة :

مملكة الشاعر حاصرها الأعداء . . .
شقّوا صدر الشاعر
لم يجدوا في داخله
الاّ مقبرة، كان الثلج يغطيّها . . .
حكموا بالنفي على الشاعر بعد الموت
أقاموا حول المنفى، الأسوار (البياتي، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٥٣١).

و أيضاً يعبّرعن كآبة غربته بالليالي الباردة وحقيبةٍ يحمل فيها قلبه الحزين في قصيدة يخيّم اليأس على أبياتها:

الشموع انطفأت
والليالي بردت
وأنا احمل قلبي في حقيبة
مثل طفل ميّت،
أغرق بالدمع صليبه (البياتي، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤١١).

كرّرالبياتي تعبير" من منفى إلى منفى " في أشعاره التي تناسب واقع حياته فعاش معظمها في المنافي و نراه ياتي بتعابيرسياسية – اجتماعية و رموز مأخوذة من واقع الحياة في وطنه. الظروف القاســـية الـــتي أدّت إلى اختيار الاغتراب و الترحال من جانب شاعرنا:

من القاع اناديك . . .
أهذا الثلج من برد لياليك
أهذا الفقر من جود أياديك . . .
أهذا القمر الميت انسان؟ . . .
أتسرقني؟ أتتركني؟
بلا وطنٍ و أكفان
أهذا انت يا جاري؟
تطاردني الى داري
كأن شوارع المدن

www.SID.ir

Archive of SID

خيوط منک يا كفني
تطاردني، تعلّقني
على شبّاك مستشفى
و من منفى الى منفى (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص٤٢-٤٣، ٤٥).

و كثيراً ما نراه ينظر بمنظار سياسي محترف و متشائم بالنسبة للمعادلات السياسية من خارج وطنه أو من منفاه لأنّه عبّر عن العالم بالمنفى و عن الغريب بالذي لايحيا ولا يموت في الغربة و الثلوج تحيطه:

الساسة المحترفون ينجرون خشب التابوت
وأنت في ا لغربة لا تحيا و لا تموت ..
تطمرک الثلوج و النجوم و الياقوت (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٩٦).

و عندما ينشد عن العرب اللاجئين و عن يافا يتكلم عن واقع اللجوء و مرارته و عن الواقع السياسي :

ليل المنافي في محطّات القطار بلاعيون
يبكون تحت القبعات
ويذبلون و يهرمون
يا من رأى " يافا " بإعلانٍ صغيرٍ في بلاد الآخرين
يا من يدقّ الباب
نحن اللاجئين
متنا... و ما " يافا " سوى اعلان ليمون! (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص٤٢٤).

وايضاً نراه يجسّم الواقع الاجتماعي للاّجئين و يسأل عن لسان الإنسان الغريب اللاجئ و يدعوه للثورة و استرداد وطنه في شعر تحت عنوان " لماذا نحن في المنفى؟ " :

لماذا نحن في صمت
نموت
و كان على الشوك
و كانت لي . .
لماذا نحن في المنفى
نموت في صمت
و لا نبكي
على النار

www.SID.ir

Archive of SID

مشينا و مشى شعبي
لماذا نحن يا ربّي
بلا وطنٍ، بلا حبّ (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٣٠) .

فإن البياتي الذي كان لا يطيق الحصار، اختار الترحال بحثاً عن ظروف تمنحه اكثر حريّةً، كان شـــاعر الوطنية
العالميّة اكثر من أن يكون شاعر الوطنية المحليّة (فوزى، ١٣٨٣، ص ٢١٦).

الإدماج بين الاحساس بالغربة الواقعية و الذاتية

يتطّرق البياتي الى كبارالشعراء القدامى، يبحث عن وجوه الاشتراك بين إحساسه بالغربة الذاتية وإحسا س أمثال أبى العلاء المعري[٤] و الخيّام بها. فيبحث عن الجذور و يحاول أن يتمسّک بقمة التراث الانسانى ففي شعره "حسرة في بغداد " يجعل شوقه الى العراق كشوق أبي العلاء لمعرة النعمان التي عندما ارتحل عنها الأحباب اصبحت وطناً كئيباً، فارقته الفرحة و لم يبق فيها إلا الموت:

معرة النعمان يا حديقة الذهب
الصيف جاء و ذهب
وأنتِ تضحكين
لاهيةً، بالرمل تلعبين
حطّ على شرفتک الغراب
وارتحل الأحباب
تفرّقوا قبائل
و جفّت الخمائل
و هاجرت مع الضحى العنادل
لم يبق الاّ الموت في الأطلال و الهياكل (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٣٢).

و يعبّر عن ظروفه و حالة غربته على لسان الخيام :

في سنوات الموت و الغربة و الترحال
كبرت يا خيّام
و كبرت من حولك الغابة و الأشجار . . .
و مات في داخلك النهر الذي اْرضع نيسابور(البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٧١) .

www.SID.ir

Archive of SID

و نرىٰ البياتي في تعبيره عن الغربة يستخدم الأساطير و التراث التاريخي و يحاول التزاوج بين أصالة التراث و التقنية العصرية لينضج تجربته الشعرية و كم يكون إحساسه عميقاً و جريحاً من ألم الغربة بحيث استطاع ان يترك اثر الحسرة المنبعثة من خلايا وجوده في نفس القارئ و يصل الىٰ رؤية كونيّة، متّخذاً من الأسطورة قناعاً لنفسه :

من أسفل السلّم ناديتك يا ربّاه
جلدي يسّاقط في الظلام . . .
الليل طال و طالت الحياة
و بردت جدران هذا القلب يا رّباه
جنيّة البحر على الصخرة تبكي، مات سند باد . . .
ربّاه طالت غربتي ربّاه!
وغرقت عبر الليالي " ارم العماد "
عصا سليمان على بلاطة الزم
وهوعليها نائمٌ، متّكىءٌ، يقظان
ينخرها السوس، فىهري مىّتاً رمىم . . .
قمرّاً الخيّام
وسقطت أسنانه، و جفّت العظام . . .
والدود فوق وجهه فار و في الأقداح
العندليب قال لي، و قالت الرياح
الليل طال، طالت الحياة (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٨١ – ٨٢).

ومن ثم أدّى الإحساس بالغربة في المنافي الواقعية إلى حالة نفسيّة غامضة تدلّ على الغربة الداخلية و الذاتية في آنٍ واحدٍ، فيخبط الإحساس بالغربة الذاتية بواقع الغربة و الظاهرة الخارجية، في باريس، و ينيشد:

باريس في الشتاء
تدثّرت بالثلج و الفراء
فما لقلبى ظلّ في العراء
يبكي كعصفور
على الأرصفة البيضاء
وأقبل المساء

www.SID.ir

Archive of SID

كمثل آلاف الأماسى

بارداً، يبكى ... بلا عزاء . . .

حانات ليل العالم الطويل

والثلج الذي تغمره الكآبة الخرساء

يحمل لي رائحة الموت الذى يحوم فى الهواء (البياتى، ١٩٩٥، ج ١، ص ٤٧٣) .

وعندما يتحدّث عن منايه الواقعية التى جعلته يجوب البحار، يشير الى أنّ وطنه هو المنفى و ما ادّى الى هذا المنفى هو شعره و سلاح قلمه لذلك لايشعر بالراحة من عذاب الغربة حتى اذا كان في أرض وطنه مجرداً من سلاحه:

أيّها الحرف

الذّي علّمني جوب البحار

وطني المنفى

و منفاى إلى الأحباب دار

أيّها الحرف المدمّى

أيّها المنفى

يا محض شعار

إنّني أحمل بغداد معي في القلب

من دارٍ لدار (البياتى، ١٩٩٥ ، ج ١، ص ٤١٤) .

ومهما طال عليه الزمن في المنافي لكنّه لايتشاءم و يجعل أرض وطنه كأسطورة محصورة في عالم الطفولة. تجعل إحساسه بالنسبة للإغتراب تتعالى و تتحّد مع أزلية الكون، فينشد في شعر " بغداد " :

مهما طال حوار الأبعاد

فستبقى بغداد

شمساً تتوهّج

نبعاً يتجدّد

ناراً ازلية

رؤيا كونّية

لطفولة " شاعر " (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٨٢).

و أيضاً يتمّسک بكتب الأسفار و التاريخ وبالصوفى الحلاج[٦] في شعر" التجلّي المقدّس " :

للوطن المدهوش في زوبعة الأوراق

www.SID.ir

Archive of SID

للوطن المسكون بالعشاق . . .
لكتب الأسفار
والليل و النهار
تطّلع الحلاج . . .
وخبّأ الرأس الذي أحرق بعد الصّلب في الامواج (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٦) .

لعلّ عبدالوهاب البياتي اكثر الشعراء حديثاً عن المنفى و عن الإحساس بالغربة و كانّه بنى عوالم من المنفى أحاطت بجوانبه كلها و عبّر عن غربته بغربتين، منفى في ذاته التي سنتطرّق إليها اكثر، و المنفى الواقعي في الحياة الاجتماعية خارج الوطن، و لكن مع كلّ ما وجدنا من الاحساس النفسي بالغربة و مع كثافة الرموز التي يستخدمها لانستطيع ان نقول انّه شاعر رومانسيّ أو ذاتيّ بل ما هو الواضح في أشعاره والغالب على أسلوبه طابع الواقعيّة، والالتزام في ثوب من التشاؤم بالواقع السياسى، وهذا طبعاً لا يدلّ على التشاؤم النفسي بالنسبة لحقيقة الحياة والعبثية بتاتاً، فإنّه يتغنّى بالثورة و الحريّة والظاهرة المسيطرة حتّى على رؤيته التشاؤمّية، هي ثورته و عصيانه و تمرّده الدائم على ما يجري حوله، فكثيراً ما يشكو من واقعه ليثيرالحمّية و النخوة عند القارئ وهو يطلب السعادة والطمأنينة، و لكن بعد تغييرما يكون، و بما أنّه وحيدٌ في هذا الطريق ينشد الإحساس بالغربة، و عندما يرى الطقوس الحاكمة لا تلائم آراءه يحسّ بأنّه يعيش بالمنفى حتّى في وطنه. ونراه مع حزنه وتشاؤمه وإحساسه بالغربة و نقده اللاذع للمجتمع و " الناس العبيد "، ينظر الحياة بمنظارشاعر ملتزم واعٍ غايته توعية شعبه وحثّه على القيام لتحصيل حقوقه، فهويتحمّل ألوان العذاب في الترحال والغربة و السجن و ... و نراه يضطهد لأجل غاياته و لا يرى رسالته أسطورية و لا منعزلة عن الحياة، بل يعبّرعن تجربته الفردية و رؤيته النفسية أحياناً و عن تجربة جماعية كتجربة فردّية أحياناً اخرى. فعندما يرى سكوت ألانظمة و القوانين على الظلم الاجتماعي في أنحاء العالم و استغلال الأغنياء الفقراء، يعبّرعن معاناته الذاتية لهذه القضايا الاجتماعيّة . لكنّه يظلّ آملاً ولا يميل الى التدرّج و الضياع النفسي فتشاؤمه في إحساسه بالغربة لا يؤدّي إلى رؤية عبثيّة للكون بل على العكس تجعله يصعّد و يعلي آفاق رؤيته بالنسبة للغربة الداخلية إلى نظرّية كونيّة صوفيّة، شاملة سأتطرّق إليها في كشف الظاهرة الأخرى من الإحساس بالغربة الكونيّة.

www.SID.ir

Archive of SID

الغربة الذاتية و الرؤية الصوفيّة

وأما الآن فأريد أن أبيّن الظاهرة الأخرى من الإحساس العميق بالغربة عند البياتي وهي الغربة الذاتية و الداخليّة وتدلّ على الإحساس بالغربة النفسية في هذه الحياة بل في الكون كلّه وأحياناً يشير إلى عوالم أخرى .

فيحطّم الشاعرأسوارالولادة والموت والزمان و ... ويقلب الأطر المتداولة للتعابير، فيعبّرعن الحيـــاة بالمنفى:

ها أنت وحيد
مملوء بالغربة في هذا العالم
تخرج ليلاً من باب الفجر . . .
في كلّ صباح تشنق نفسك
لكن العنقاء بنار الشعر تعود لتنفض عنك رماد الأشياء
فحبك يبقى الكنز المرصود
و تبقى انت ... منتظراً، مسكوناً بالغربة ... اميراً للمنفى . . .
ما بين الرهبة و الرغبة
ترحل نحو الداخل، مسكوناً بالغربة
العالم منفى في داخل منفى والناس رهائن. (البياتي، ١٩٩٥، ج٢، ص ٤٣٩-٤٤٠).

وهذه الرؤية من الكون هي التّي تجعله يرى الإنسان غريباً في وطنه وفي كلّ مدن العالم على سواء، و برأيي أنّ الذي أوصل الشاعر السياسي الملتزم عبدالوهاب البياتي في مساره إلى هذه النقطة هو فشل أمنياته لوطنه و للعالم العربي، في الواقع السياسي:

غريباً كنت في وطني و في المنفى
جراحاتي التى تشفى
ستفتح في غدٍ فاها
لتسألني
لتصلبني
على شبّاك مستشفى
فأوّاها
بعيد أنت يا وطني . . .
أهذا انت يا قدري؟

www.SID.ir

Archive of SID

تجرّ وراءك العربات و الموتى . . .

و تغرق هذه الغابات بالعتمة

عصافير بلاعشّ (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢ ، ص ٤٦).

وفي هذا النطاق نراه يقلّب المعاني المتداولة و يعبّرعن الموت تارةً بالولادة الأخرى و تارةً بالعودة من المنفى، ففي قصيدة " العودة من المنفى " يرثي صديقه ناظم حكمت[٧] و ينشد :

ولادةٌ أخرى هو الموت، هو الإياب

زوارق الحبّ تحطّمت . . .

ناظم عاد! من يدقّ الباب؟

عاد من المنفى مع الطيور و السّحاب (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٦).

وأيضا ينشد في رثاء ناظم حكمت عن لسان حاله:

يتيمة الوطن

كنت وكان طائر الشجن

رفيق رحلتي إلى الكفن

رفيق رحلاتي إلى الوطن

في وحشة الزمن

كان حياتي، فأنا من بعده

سحابة . . .

تطردها الرياح من منفى

إلى منفى (البياتى، ١٩٩٥، ج١ ، ص ٤٧١).

و نرى هذا الإحساس الذاتي بالغربة عنده لا يتحمّل الموت و لا الحياة و لا الزمان و ...

القمر الأعمى ببطن الحوت

وأنت في الغربة لا تحيا و لا تموت (البياتى، ١٩٩٥ ، ج ٢ ص ٦٧).

و أيضاً يعبّر عن الغربة في الزمن و ماوراء الزمن فينشد:

في مدن العالم

في بيوتها

في وحشة الغروب

في زماننا الحزين

في الساعة الخامسة و العشرين

www.SID.ir

Archive of SID

رأيته يدوس فوق ظلّه

يدقّ في ضلوعه أسفين (البياتي، ١٩٩٥ ، ج ١، ص ٤٧١).

وأيضاً يخرق حجب الزمان و المكان و الولادة و الموت و يعبّر عن ألمه بألمٍ بشريٍّ بلا حدود، فينشد في شعر تحت عنوان " الولادة في مدن لم تولد ":

أولد في مدن لم تولد

لكنّي في ليل خريف المدن العربيّة

مكسور القلب، أموت

أدفن في غرناطة، حبّي

واقول:

" لا غالب إلاّ الحبّ "

وأحرق شعري و أموت

على أرصفة المنفى

أنهض من بعد الموت

لأولد في مدن لم تولد و أموت (البياتي، ١٩٩٥ ، ج ٢ ، ص ٤٧٠).

ولكن في نهاية مسارهذا الإحساس بالغربة عندالشاعر، نراه يصل إلى الاتحاد مع الكون وتنقلب النظرة التشاؤمية بالنسبة للإحساس بالغربة الى نظرة عرفانية توصله الى أمان الحـــبّ الأزلي و أن المنفـــى ينقلب الى الحبل المتين الذي يؤدّي إلى سرّ الآلهة و الملكوت:

أيّ حبّ هو هذا؟

عندما يكتشف الشاعر في منفاه

سرّ الآلهة

في بياض الورقة

غابة / قافية محترقة

نجمة مؤتلقة

عندما يصبح هذا النّص مفتوحاً

وهذا القرع في شاهدة القبر

حضوراً في الوجود

تنهض الوردة من تابوتها

حاملة نار جنون العشق

www.SID.ir

Archive of SID

نار الملكوت (البياتى، ١٩٩٥، ج٢، ص ٥٢٧).

و أيضاً يعبّر عن هذا الإحساس بمقدمة للإبداع:

واصلوا الإبداع
في صحراء وحدتهم
و كانوا / ما يكون
تركوا على أسوار هذا الكون
بعض رموزهم
وهم الى أرض الكواكب يرحلون (البياتى، ١٩٩٥، ج ٢، ص ٤٩٢).

فهو أصبح ينشد الاتحاد مع الكون و الروح الأزلي و الإشراق و الخلود في " الهجرة من الذات "

بدأ استشهادى
بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا
سكّنتني الموسيقى
داهمني ليل هيولي
اشتغلت روحي شوقاً للعود الأزلي
فصرت، أدور وحيداً في فلك الإيقاع
متّحداً في موسيقى الكون و نبض القلب الملتاع
و حين عبرت الخط الأحمر للدنيا
لمعت في عتمة نفسي شارات ضياء
و حوار ما بين الأحياء الموتى
و الموتى الأحياء
سكنت روحي في الكلمات
نهراً قدّسه رمزٌ كونيٌّ
صار الوجه الآخر للدنيا
صار الإشراق
ظهر الوجه الخالد للحبّ
انتصر الإبداع
قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها
الشعراء

www.SID.ir

Archive of SID

من أجل خلاص الإ نسان
بدأ استشهادي و خلاصي
حين عبرت الخط الاحمر للدنيا
مخترقاً كينونة حبّي الصمّاء (البياتي، ١٩٩٥ ، ج ٢، ص ٥٥٥- ٥٥٧).

النتيجة

نرى حياة شاعرنا الفنية في مسير تطوّر رؤيته الكونية، يعلو من شاعر وطني ثائر و ينتهي إلى شاعر صوفيّ ينشد إنسانية الشمولية ولكن يخلع الصفة السلبية للصوفية و هي الانعزال و عدم المبالاة بالنسبة للقضايا الاجتماعية و السياسيّة. فيبقى البياتي شاعراً واقعيّاً ملتزماً إلى نهاية مساره و ينشد حقوق البشر بأسره. كلّ هذا يحصل له من بركة المنافي و تعرّفه إلى شخصيات فكريّة عالميّة و الثقافات الإنسانية و الظروف السياسية بعد حرب ١٩٦٧ طبعاً.

فما أشرنا إليه أدىّ إلى تحول البياتي من شاعرمناضل يساري إلى شاعر إنساني ثم إلى شاعرذاي رؤية كونيّة شموليّة

صوفية في نطاق رؤيته الخاصّة للصوفية، يعلو إلى معراج فنّه الشعريّ. ففي هذا المسار إحساسه بالغربة أيضاً يمرّ بتلك التجارب و يرتقي من الإحساس الخارجي بالغربة، إلى الإحساس الذاتي والكوني المتعالي بالغربة.

الهوامش

١- ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ في العراق أطاحت بالنظام الملكي و أدّت إلى سيطرة مجموعة الضباط الأحرار برئاسة عبد الكريم قاسم .

٢- محمد مهدي الجواهري (١٩٠٠ – ١٩٩٧ م) شاعر عراقي و رائد الشعر الكلاسيكي العربي في العصر الحديث .

٣- محيي الدين ابن عربي (١١٦٥ – ١٢٤٠م) متصوّف و شاعرمسلم؛ ولد في الاندلس و أعطى الفكرالديني الإسلامي بعداً فلسفياً جديداً و قال بوحدة الوجود .

٤- أبوالعلاء المعرّي (٩٧٣ – ١٠٥٧ م) شاعر عربي عبّاسي مكفوف البصر. عاش عيش الزهاد و عرف بالقسوة في نقد المجتمع. غلبت الفلسفة على شعره مع نزعة الى الشك و التشاؤم .

٥- عمر خيام (١٠٤٨ – ١١٢٢ م) عالم رياضي و فيلسوف حكيم و شاعر ايراني. بثّ في رباعياته فكره الحر و المتمرد و إمتاز بالجرأة القويّة و الصراحة العجيبة و تعرّض للإتهام بالزندقة.

www.SID.ir

Archive of SID

٦- حسين بن منصور الحلاج (٨٥٨ - ٩٢٢ م) صوفي مسلم، دافع عن الحركة الصوفية وادّعى حلول الذات الالهيّة فيه فاتّهم بالكفر والزندقة و سجن و عذب .

٧- ناظم حكمت (١٩٠٢ – ١٩٦٣ م) شاعر تركي، من أعلام الأدب التركي الحديث و زعيمٌ ثوريٌّ يساريّ في بلاده .عبّر في شعره عن آلام الجماهير و عاش في المنفى فترة طويلة.

المصادر و المراجع

- البياتي، عبدالوهاب، **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ١٩٩٥ .
- البياتي، عبدالوهاب، **ما يبقى بعد الطوفان** (آراء، مختارات شعرية، سيرة و حوار)، إعداد عدنان الصائع و محمد تركي النصار، ناري الكتاب العربي، لندن، ١٩٩٦ .
- شرف، عبدالعزيز، **الرؤيا الإبداعية في شعر عبدالوهاب البياتي**، دارالجيل، بيروت، ١٩٩١ .
- الصائغ، يوسف، **الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام ١٩٥٨**، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٨.
- عبدالقادر، فاروق، مقالة: **"رحل الشاعر عبدالوهاب البياتي"**، مجلة المصوّر، مصر، العدد ٣٩٠٥، آگوست ١٩٩٩ .
- فوزي، ناهدة، **عبدالوهاب البياتي حياته و شعره** (دراسة نقدية)، انتشارات ثارالله، ١٣٨٣، تهران.
- كامبل اليسوعي و الأب روبرت . ت، **اعلام الأدب العربي المعاصر**، ١٩٩٦، بيروت .

www.SID.ir

Archive of SID

غم غربت و آوارگی در شعر عبدالوهاب بیاتی

دکتر ناهده فوزی

عضو هیات علمی دانشگاه آزاد اسلامی- واحد تهران مرکزی

چکیده

بیاتی شاعری بود همیشه درسفرکه چون پرندگان مهاجرکوچی همیشگی را برگزید و آوارگی در جهان را پیشه کرد و با دغدغه هجرت و تبعید اشعار خود را آکند، چندان که به عنوان شاعر تبعیدگاه‌های دنیا شناخته شد، همآره با احساس غربت دست به گریبان بود؛ احساسی که در گذار از مراحل مختلف جلوه‌های مختلفی به خود گرفت. به گونه‌ای که از واقعیتی ملموس آغاز شد وبه احساسی عرفانی وعمیق انجامید. در این مقاله تلاش شده تا با کشف ابعاد و ریشه های احساس غربت در شعر بیاتی زوایای پنهان و دغدغه های درونی شاعر نشان داده شود.

کلیدواژه‌ها: عبدالوهاب بیاتی؛ غم‌غربت؛ مهین، سفر

www.SID.ir